بين السياسة والدّين

مقاربة مسيحيَّة
لقضايا سياسيَّة
من الشرق الأوسط

المحتويات

المقدِّمة
إلياس الغزال ٥

سيادة الله وعالم السياسة
عيسى طنّوس ٧

ملكوت السماوات وملكوت الإنسان
منذر اسحق ٣٥

الكنيسة والسُّلطة عبر العصور
عازر عجاج ٦٩

إرساليَّة الله والنشاط السياسيّ
ثروت وهيب ب. وهبه ٩٣

العدالةُ الاجتماعيَّةُ
أنطون دعيق ١٢٥

تعايُش المسيحيِّين مع الإسلام السياسيّ
إكرام لمعي ١٦٥

عندما تسقط الأساسات، ماذا يفعل صانع السّلام؟
رلى خوري منصور ١٨٥

الأخلاقيَّات المسيحيَّة والعمل السياسيُّ الحزبيُّ
إيهاب الخرّاط ٢٢١

المقدِّمة

أدَّت ولادة يسوع المسيح في بيت لحم إلى نُشوء كنائس عديدة في ما يُدعى اليوم الشَّرق الأوسط وشمال أفريقيا. وقد انتشرت المسيحيَّة خارِجَ نطاق الشَّرق الأوسط، حتّى أصبحت دين الإمبراطوريَّة الرُّومانيَّة الحاكمة.

ومن جرَّاء إضفاء السُّلطات الإكليريكيَّة والحكوميَّة في روما طابع مؤسَّساتيّ على الكنيسة، تحوَّل الإيمانُ المسيحيُّ من ديانةٍ عُموميَّة مُشترَكة إلى مؤشِّرِ هُوِيَّةٍ ترعاهُ الدَّولة. فأحسَّ المسيحيُّون في أنحاء الإمبراطوريَّة الرُّومانيَّة أنَّهُم مُتمتِّعون بسُلطةٍ شرعيَّة ومَحميُّون. أمَّا المسيحيُّونَ خارِجَ حدود الإمبراطوريَّة، على النَّقيض، فقد استهدفَهُم الظُّلمُ والاضطِهاد. ومع مرور الزمن، قامت إمبراطوريَّاتٌ وسقطت، وتشَظَّتِ المسيحيَّة إلى عدَّةِ طوائفَ وتفسيراتٍ مُتنازِعة. والأمر الأكيد أنَّ الإيمان المسيحيَّ والهُوِيَّة المسيحيَّة تعرَّضا للتَّلاعُب والاستغلال من قِبَلِ النُّخَبِ الحاكمة لتعزيز مصالحها المادِّيَّة. وردًّا على ذلك، تكيَّف المسيحيُّون مع الظُّروف المُتغيِّرة بطرائقَ شتَّى. فقد كان هدَفُهم أن يُعطوا لقيصرَ ما هو لقيصر، ولله ما هوَ لله. غيرَ أنَّ تلكَ المعادلة لم تكن سهلة المنال، ممَّا سبَّبَ انقساماتٍ داخليَّةً في الكنيسة وعدم استقرار في المجتمع.

سعَت بعضُ الجماعات المسيحيَّة إلى عَيشِ إيمانِها عن طريق النَّأيِ بالنَّفس. فقد سعوا أن يعيشوا حياةً طاهرة، مُتحرِّرةً من تأثير العالَمِ المُفسِد، ومن تدخُّل مُمثِّلي السُّلطة العاكفينَ على توسيع نُفوذهم. فحرَكةُ الرَّهبنة، مثلًا، دعَتِ الرِّجالَ والنِّساءَ إلى الانسحاب من العالَم وتكريس النَّفس لحياة الطَّهارة. وقد عزَلَ الرُّهبانُ أنفُسَهم في الصَّحراء وشغلوا أنفُسَهُم بالشعائر الدِّينيَّة. وعلى مرِّ الزَّمَن، تنامت الأديرَة، وابتكَرَ رؤساءُ الأديرة قوانينَ مُختلفةً لتنظيم حياة الرّهبان والحماية من العِيشَةِ اللاأخلاقيَّة. وقد أنشأتِ الأديرَةُ أنظمة بديلة هَيمنَت على حياة الرُّهبان من شروق الشمس إلى مغربها.

وكانت تلك الأنظمة مفصَّلة ذات رُتب وألقاب. عمليًّا، كان لحياة الرَّهبنة بنًى تنظيميَّة وازَتِ النِّظامَ السائد، وإن كانت قد تميَّزت بعيشَةِ التَّقشُّف. وبعبارةٍ أُخرى، حتَّى حياةُ الاعتزال والتَّكرُّس يجبُ أن تتنازعَ مع الضُّغوط التي تواجِهُ كلَّ نظامٍ اجتماعيٍّ مُرتَّب، مِثلِ توزيع الموارد، والنِّزاع على السُّلطة، والإعالة،

والأمن، وإدارة العلاقات الدَّاخليَّة والخارجيَّة. ومن هذا المنظور، ما لم يختَرِ الأفرادُ أن يعيشوا في التَّنسُّك طيلةَ حياتهم، لا مفرَّ من الانخراط بشكلٍ ما من أشكال السِّياسة.

لا يُقصَدُ بهذا أن نقولَ إنَّ كلَّ مسيحيٍّ يجب أن يُعنى بالسياسة أو أن يكونَ له رأيٌ سياسيّ. إلَّا أنَّ ما يجدُرُ ذِكرُه هو أنَّ مسيحيِّين كثيرين في الشَّرق الأوسط يجهلون كيفيّة الانخراط في العمل السياسيّ. فهُم يشعرون بحافزٍ إلى المساهمة في تقدُّم الحياة الاجتماعيَّة والاقتصاديَّة عبر الآليَّات السياسيَّة، ولكنَّهم إمَّا يتراجعون بسبب الطريقة الفاسدة التي تُمارَسُ بها الشؤون السياسيَّة في المنطقة، وإمَّا يُحبَطونَ جراء إحداث أيّ تغيير هامّ. فبينما أضرمت الثَّورات العربيَّة حماسة شديدة للانخراط في العمل السياسيّ، ولا سيَّما بين الشَّباب، إلّا أنَّ عواقبَ الاحتجاجاتِ والتَّطوُّراتِ اللاحقةَ خيَّبت آمال الكثيرين وجعلتهم يغوصونَ أعمَقَ في لُجَّةِ اليأس. والبلدان العربيَّة التي أثَّرت فيها الثورات ما تزالُ تُكافِحُ لاستعادة جوٍّ من الأمان والاستقرار الطَّويلِ الأمد. وقد أدّى هذا إلى هجرة نسبة كبيرة من المسيحيّين من بلدانهم، والبحث عن مكانٍ آخر يُتاحُ لهم فيه أن يعيشوا حياةً أوفَرَ كرامةً.

وبينما وضع الشرق الأوسط يزداد تعقيدًا، يسألُ المسيحيُّون ما هوَ دورُهم في هذا الظرف؟ كيفَ يُمكِنُهم أن يكونوا مِلحًا ونورًا في مجتمعهم؟ ما هي بشارةُ الإنجيل في وسط هذه المُعاناة؟ كيف يُتاحُ للمسيحيِّين أن يتصدَّوا للوضع الرَّاهن دُونَ مُهاوَدةٍ في إيمانهم؟ كيف ينبغي للمسيحيِّين أن يستعملوا الآليّات السِّياسيَّة التي في مُتناوَلهم لإحداث تغيير إيجابيّ، فيما يبقَونَ أُمَناء حِيالَ إرساليَّة الله لهم؟ هذه أسئلةٌ صعبةٌ لكنْ مُهِمٌّ أن تُطرَح، لأنَّ للأجوبَة مضامين تمَسُّ حياةَ عشرات الآلاف من المسيحيِّين في الشرق الأوسط.

وهذا الكتابُ خُطوةٌ باتِّجاهِ تقديمِ استجابَةٍ مسيحيَّة إزاءَ القضايا السياسيَّة المُعاصرة التي تُواجه الكنيسة في الشَّرق الأوسط. فالكُتَّابُ يتطرَّقون إلى موضوعاتٍ سياسيَّة، من مِنظاراتٍ كِتابيَّة (بيبليَّة) ولاهوتيَّة وتاريخيَّة. وكلُّ فَصلٍ يُقدِّم بحثًا غنيًّا بالأبعادِ اللاهوتيَّة، مَدارُهُ كيف ينبغي أن تُقارَبَ المفاهيمُ المشحونة سياسيًّا، مِثلُ السِّيادة، والسُّلطة، والسرديّات التاريخيَّة، والعدالة الاجتماعيَّة، والإسلام السِّياسيّ، والسَّلام، والعمل الحزبيّ. ولكُلٍّ من المساهمين اختبارٌ واسع وخبرةٌ أكاديميَّة في بحث المواضيع المُعالَجة.

رجائي لِقُرَّاء هذا الكتاب أن يشعروا بمزيدٍ من الثِّقة للاشتغال بالشؤون السياسيَّة والمباحثات السِّياسيَّة فيما يَحنُونَ رُكَبَهُم فقط للرَّبِّ يسوعَ المَلِك.

إلياس الغزال
المدير التنفيذيّ
رابطة الشَّرق الأوسط وشمال إفريقيا للتعليم اللاهوتيّ